معارضة أهل السنة للعلوم العقلية
(الكلامية والفلسفية)
الأسباب والدوافع

الدكتور
عبد العزيز موسي الدبور
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ؟لبحث :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد..،،

فهذا البحث الذي جاء عنوانه :

" معارضة أهل السنة للعلوم العقلية (الكلامية والفلسفية) الأسباب والدوافع "

ويشتمل على المباحث الآتية :-

المبحث الأول : موقف أهل السنة من علوم الأوائل

المبحث الثاني : تلازم علة التحريم من جانب أهل السنة بين العلوم العقلية (الكلامية والفلسفية)

المبحث الثالث : تأييد بعض الخلفاء لأهل السنة في معارضتهم للعلوم العقلية وأثر ذلك على تلك العلوم

الخاتمة : وتتضمن أهم نتائج البحث

[ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير]

صدق الله العظيم

مقدم البحث
عبد العزيز موسي الدبور
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدسوق
جامعة الأزهر

المبحث الأول

موقف ؟هل ؟لسنة من علو؟؟لأ؟؟ئل [1]

قوبلت العلوم العقلية خاصة الدراسات الكلامية والفلسفية بمعارضة شديدة من أغلب شيوخ المسلمين خاصة الفقهاء وأهل الحديث والمشتغلون بالعلوم السنية عموماً.

فقد شن أهل السنة حملة عنيفة على تلك العلوم العقلية فكان الاشتغال بها محاربة للدين وخطراً على صحة العقائد الإيمانية من هنا حكموا على المشتغلين بها بالفسق والكفر والإلحاد.

وذلك لكون هذه العلوم (خاصة الفلسفة والمنطق) من علوم الأوائل وهى علوم وافدة من الفلاسفة الإغريق وهم وثنيون ملحدون.

فالمناهضون للفلسفة رفضوا الفلسفة الإغريقية رفضاً نفسياً يقوم على التعصب الديني إذ كيف يتلقون الآراء الفلسفية الإغريقية وهي صادرة من ملاحدة.

كما أنهم رفضوا الفلسفة الإغريقية لاشتمالها على الكثير من المسائل التي تخالف عقيدتهم.

لكن معارضة أهل السنة للدراسات الفلسفية قد شملت أيضاً أحد فروعها وهو (المنطق).

---

(١) (علوم الأوائل) أو (علوم القدماء) أو (العلوم القديمة) اسم أطلقه الكتاب الإسلاميون على تلك العلوم التي نفذت إلى البيئة العلمية الإسلامية بتأثير المؤلفات المأخوذة عن الكتب اليونانية وغيرها تأثيراً مباشراً أو غير مباشر وهي التي يسمونها كتب الأوائل في مقابلة علوم العرب والعلوم المحدثة وفي مقابلة العلوم الشرعية على وجه التخصيص. التراث اليوناني ص ١٢٣، وهذه العلوم تشمل : الفلسفة والمنطق والرياضة والطبيعة والطب والفلك إلخ.

كما أن موقف المعارضة والرفض لم يقتصر على الآراء الإغريقية إنما طال أيضاً الفلسفة الإسلامية ورجالها.

رغم أن الفلاسفة المسلمون خالفوا الفلاسفة الإغريق وغيرهم في العديد من المسائل التي لا تتفق مع عقيدتهم الإسلامية.

كما أن موقف المعارضة من جانب أهل السنة لـ (علم الكلام) أحد العلوم العقلية وذمه وتحريم النظر فيه كون المتكلمين خاصة (المعتزلة) قد مزجوا الكلام بالفلسفة واشتماله على كثير من المصطلحات الفلسفية الوافدة نتيجة اتصالهم بالفلسفة القديمة الصادرة عن الفلاسفة الإغريق القدماء وهم ملاحدة.

إذاً لم تكن الفلسفة الإغريقية وحدها هي موضع الشك وعدم الثقة والاطمئنان لدي أهل السنة إنما كان يشمل أيضاً كل ما اتصل بها من علوم مهما كان أمر هذا الاتصال ومهما كانت أهمية هذا العلم للدراسات الدينية، فاسم الفلسفة وحده ينفرهم من كل ما اتصل بها من علوم سواء كانت كلامية أم فلسفية ومنطقية لأن هذه العلوم في نظرهم خطر على صحة العقائد الإيمانية.

ونشير فيما يلي إلى أقوال أهل السنة التي توضح لنا هذا الدافع وراء اتخاذهم موقف خصومة وعداء ومناهضة للعلوم العقلية (خاصة الفلسفة والمنطق) :

١. فأهل السنة وصفوا (علوم الأوائل) بأنها (علوم مهجورة) و (حكمة مشوبة بكفر) لأنها تؤدي في النهاية – في نظرهم – إلى الكفر أي إلى التعطيل [أي تجريد ذات الله من كل حسنة إيجابية].

فالذهبى في ترجمة ابن رشد يقول عنه : " ونسب إليه كثرة الاشتغال بالعلوم المهجورة من علوم الأوائل " (١).

والسيوطي يقول عن حسن بن على القطان : " وكان فاضلاً عالماً باللغة والأدب والطب وعلوم الأوائل المهجورة وكان ينصر مذهبهم ويميل إليهم " (٢).

(١) انظر : ريتان : ابن رشد والرشدية صـ ٤٥٨

(٢) بغية الوعاة : صـ ٢٢٤

والأمثلة كثيرة في رمي العديد من أكابر العلماء بالكفر والزندقة واضطهادهم لمجرد أنهم يشتغلون بـ (علوم الأوائل) أو يتجهون في كتبهم اتجاهاً عقلياً سواء كان كلامياً أم فلسفياً :

- **فابن المرتضي عند ذكره لأبي الحسن البصري (المتوفي سنة ٤٣٦هـ) يقول : " إن أصحاب أبي هاشم أخذوا عليه شيئين : أحدهما : أنه دنس نفسه بشيء من الفلسفة وكلام الأوائل " [١] .**
- **وابن الصلاح عند حكمه على المشتغلين بـ (العلوم العقلية) يقول : "... قد برأ الله الجميع (أي الصحابة والتابعين والسلف الصالحين) من معرة ذلك وأدناسه وطهرهم من أوضاره " [٢] .**

فما أسهل ما يتهم الرجل بأنه فاسد العقيدة محارب للدين ويقول بالتعطيل لا لشيء إلا لأنه في كتبه يتجه اتجاهاً عقلياً سواء كان كلامياً أم فلسفياً مهما كان علمه وورعه ومهما كان قصده وغايته وهو الدفاع عن العقيدة الإسلامية ونصرتها.

- **وقد ذخرت كتب التاريخ بالعديد من الأمثلة والشواهد من الحياة الواقعية على ذلك :**
- **من هذه الأمثلة ما حدث لسيف الدين على الآمدى (المتوفي سنة ٦٣١هـ) فقد كان عالماً بالدين مشهوراً قد جمع بين البراعة في العلوم الدينية والفقهية وخصوصاً علم الأصول وبين الاشتغال بفنون من علوم الأوائل اشتغالا مهماً، وقد جاء إلى القاهرة وتولي تدريس العلوم الشرعية المعتادة واشتهر بذلك شهرة كبيرة إلا أنه اضطهد اضطهادا منشؤه التعصب الديني لأنه اشتغل بالدراسات الفلسفية (المنطق خصوصاً) إلى جانب اشتغاله بالعلوم الشرعية مع أنه لم يكن في تدريسه يدرس شيئاً من**

(١) د/ عبد الرحمن بدوي : التراث اليوناني صـ١٣٤ بتصرف.

(٢) مقدمة ابن الصلاح صـ ٣٥.

العلوم الفلسفية فقد اتهم بأنه فاسد العقيدة يقول بالتعطيل ويذهب مذهب الفلاسفة وكتب محضر بذلك ووقع عليه الكثيرون وأعلنوا فيه استباحة دمه فلما رأي سيف الدين هذا التألب عليه فر إلي الشام ودعي إلى التدريس بإحدى مدارس دمشق ولكنه عزل من بعد لاتهامه بما يشبه ما تهم به من قبل[1] .

- والرواة يحدثوننا عن شخصية من أعظم الشخصيات العلمية في القرنين السادس والسابع الهجريين وهي شخصية (كمال الدين بن يونس الموصلي) فابن خلكان قد قدم لنا صورة واضحة لما كان عليه هذا الرجل من عبقرية وسعة أفق ومشاركة في نواح عديدة من نواح العلم فإلي جانب معرفته بالعلوم الشرعية الإسلامية على اختلاف مذاهبها كان ملماً بالتوراة والإنجيل. ولم يكن له ثمة نظير في معرفته بالرياضيات والطبيعيات والعلوم الفلسفية. فكان يعلم من المنطق والطبيعة والحساب والهندسة والهيئة والطب والموسيقي والإلهيات ما لم يكن يعلمه واحد من معاصريه في فرع من هذه الفروع... وعليه أقبل طلاب العلم من جميع الأنحاء يأخذون عنه علوم الدين وعلوم الدنيا ومن هؤلاء الطلاب الذين كانوا يأتون إليه (ابن الصلاح الشهرزوري) الذي أصبح فيما بعد إماماً من أكبر أئمة الحديث، ارتحل ابن الصلاح إلى الموصل كي يتلقي على كمال الدين هذا درساً في المنطق سراً إلا أنه على الرغم من تردده عليه مدة من الزمان وعلى الرغم مما أظهره الشيخ من حسن استعداد لإفادته لم يستطع هذا العالم أن ينفذ إلى دماغ هذا الطالب الشاب الذي كان اتجاه عقله اتجاهاً دينياً خالصاً فلم يكن في وسع كمال الدين إلا أن يقول له : " يا فقيه، المصلحة عندي أن تترك الاشتغال بهذا الفن". فقال له : ولم ذاك يا مولانا ؟ فقال : لأن الناس يعتقدون

(١) انظر : التراث اليوناني صـ ١٦٢– ١٦٣ (مقال جولد تسيهر).

فيك الخير وهم ينسبون كل من اشتغل بهذا الفن (المنطق) إلى فساد الاعتقاد فكأنك تفسد عقائدهم فيك ولا يحصل لك من هذا الفن. فقبل ابن الصلاح إشارته وترك الاشتغال بالمنطق.

وإلى هذا كله يضيف ابن خلكان أن كمال الدين كان يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالية عليه... " [1] .

٢. وكان حرص أهل السنة وخصوصاً الحنابلة تعقب المشتغلين بالعلوم اليونانية والكشف عنهم حتى بين المشتغلين بـ (علوم الدين) ممن يتبعون مذهباً معيناً من مذاهب الفقه.

ونذكر كمثال لرجال الدين المتأثرين بـ (العلوم اليونانية) :-

إسماعيل بن على بن حسين الأزجي البغدادي الحنبلي [ولد سنة ٥٤٩ وتوفي سنة ٦١٠هـ] تلميذ أبي الفتح بن المنىَّ الحنبلي المحدث (المتوفى سنة ٥٨٣) الذي يعتبر من أكبر أئمة الحنابلة وحلقة رئيسية من حلقات سلسلة الفقهاء الحنابلة. والذي خلفه في التدريس بالمأمونية هو (إسماعيل الأزجي) الذي قام بالتدريس أيضاً في جامع القصر حيث كان يجتمع شيوخ الدين يتذاكرون المسائل ويتبادلون الآراء... والناس كانوا يشيدون بماله من قدرة في الفقه فائقة ومعرفة بالخلافيات واسعة ومهارة في الأصوليين (أصول الفقه وأصول الكلام) والجدل إلى جانب إشادتهم بحسن إلقائه وبراعته في المناظرة ولهذا فإن مترجمة يصفه بأنه في جميع هذه الأشياء " أوحد زمانه " وكان له في كل هذه المعارف والعلوم تلاميذ كثيرون وألف الكثير من الكتب. وقد أولاه الخليفة الناصر عطفه ورعايته وأسند إليه المناصب الرفيعة....

ورغم ذلك يتحدث ابن النجار (المتوفى سنة ٦٤٣) عنه فيقول : " ولم يكن في دينه بذاك أي لم يكن صحيح الإيمان... وأنه قرأ المنطق والفلسفة على ابن مرقش الطبيب النصراني ولم يكن في زمانه أعلم منه بتلك العلوم... وكان

(١) نفسه صـ ١٥٨- ١٥٩.

متسمحاً في دينه (متلاعباً به) وكان دائماً يقع في الحديث وفي رواته. ويقول – أي إسماعيل الأزجي – عنهم : هم جهال لا يعرفون العلوم العقلية ولا معاني الحديث الحقيقية بل هم مع اللفظ الظاهر ويذمهم ويطعن عليهم " [١].

٣. إن كل انحراف عن طريق رجال الدين الرئيسي كان القوم يعزون السبب فيه إلى علوم الأوائل إذا كان صاحب هذا الانحراف قد اتصل بها عن قرب أو عن بعد :

- فتاج الدين السبكى يري أن السبب الذي جر الخليفة المأمون إلى القول بخلق القرآن هو هذا المقدار الضئيل الذي عرفه من علوم الأوائل [٢] .

ويذكر السبكى أن العوام (أي الرأي العام) يرجعون أقوال الغزالي في مسائل كثيرة بما لا يتفق ومذهب أهل السنة في عصره إلى تأثره بمذهب الأوائل[٣].

على الرغم مما للغزالي من أقوال تناقض الفلسفة لكنه لم يستطع مطلقاً أن يتحلل من ماضيه الفلسفي حسب تعبير جولد تسيهر [٤] .

- والذهبي كان يعقب على المدح الكثير الذي حظي به أحد العلماء بقوله : فيا ليته ترك الاشتغال بعلوم الأوائل فما هي إلا مرض في الدين أو هلاك فقل من نجا منهم (أي من المشتغلين بها) [٥] .

(١) انظر : ابن رحب الحنبلي : طبقات الحنابلة صـ ١١٥.

(٢) طبقات الشافعية حـ١، صـ ٢١٨.

(٣) نفسه حـ٤، ص ١١٠، وانظر : جولد تسيهر (موقف أهل السنة القدماء..) صـ ١٣٣.

(٤) جولد سيهر صـ ١٣٣ مقال ضمن التراث اليوناني.

(٥) نفسه صـ ١٣٣، وانظر : السيوطي : بغية الوعاة صـ ٣٧٥.

٤. وكان طبيعياً من أجل هذا كله أن يطالب أهل السنة الشباب الراغبين في العلم أن يتجنبوا الاتصال بأمثال هؤلاء (المشتغلين بعلوم الأوائل) قدر المستطاع وأن يتجنبوا خصوصاً ما يجرونه عليهم من خطر محقق على الدين :

وفي هذا يروي أبو سعيد بن السمعاني أحد كتاب التراجم أنه استمع إلى دروس على بن عبد الله بن أبي جرادة (المتوفى حوالي سنة ٥٤٠هـ) أثناء رحلته الدراسية إلى حلب. فذات مرة رآه بعض الصالحين يخرج من دار هذا الشيخ فسأله عن سبب زيارته له فلما أخبره السمعاني بأنه كان يسمع الحديث من ابن أبي جرادة غضب الرجل الصالح غضباً شديداً وقال : " ذاك يقرأ عليه الحديث " وقلت ولم ؟ هل هو إلا متشيع يري رأي الحلبيين ؟ ". فقال لي : " ليته اقتصر على هذا بل يقول بالنجوم ويري رأي الأوائل " [١] .

٥. فإذا كانت الحال على هذا النحو فمن السهل أن نفهم كيف أن الكثيرين ممن كانوا يحرصون على حسن السمعة كانوا يسبلون قناعاً على دراساتهم الفلسفية مظهرين اشتغالهم بها تحت ستار علم من العلوم الحسنة السمعة :

وأوضح مثال لهذا وإن لم يكن هو المثال الوحيد محمد بن على بن الطيب (المتوفى سنة ٤٣٦هـ) فيذكرون عنه أنه كان إماماً عالماً بعلم كلام الأوائل إلا أنه خشي أهل زمانه فلم يشأ الظهور صراحة بمظهر الفيلسوف فأخرج مذهبه في صورة المذاهب الكلامية التي لم تكن مع ذلك جائزة لرضي أهل السنة في عصره هي الأخرى ولكنها كانت على كل حال أقل خطراً من الفلسفة الصريحة لأنها على الأقل قد نمت في تربة إسلامية [٢] .

(١) انظر : التراث اليوناني صـ ١٣٤.

(٢) جولد سيهر : مقال ضمن التراث اليوناني صـ ١٣٤– ١٣٥

٦. وطبيعي أن يلازم عدم ثقة رجال الدين بمن يشتغلون بعلوم الأوائل كراهيتهم للكتب التي تتضمن هذه العلوم بل كان ممكناً بسهولة أن يؤدي مجرد اقتنائها إلى اتهام صاحبها بميله إلى الزندقة، ولعل الجاحظ يشير إلى أمثال هذه الكتب حين يذكر من بين الأشياء التي تخفي بعناية عن عيوب الناس إلى جانب " الشراب المكروه " " الكتاب المتهم " [١]

.

وفي درس عام ألقاه عبد القادر الجيلاني المتصوف الكبير (توفي سنة ٥٦١هـ) حمل على أحد القضاة لا لشيء إلا لأنه سمح بأن تكون في مكتبته مؤلفات الفلاسفة العرب.

٧. وثمت مسألة أخري مسألة الأمر بإحراق كتب الأوائل التي كانت عند (عبد السلام بن عبد الوهاب) الملقب بركن الدين [المتوفى سنة ٦١١] لأنها كانت تشتمل على إلحاديات وكانت محاكمته عملاً من أعمال الانتقام.

ولما فتشت داره وجد فيها كتب من كتب الفلاسفة ورسائل إخوان الصفا وكتب في السحر. وأشباه ذلك وكلها مكتوبة بخط عبد السلام فاستدعي عبد السلام وعبثاً حاول تبرئة نفسه بقوله إنه لا يؤمن بهذه الأشياء وإنما هو نسخها ليرد عليها فحسب فقد أمر بإحراق كتبه ولأجل ذلك أقيمت نار عظيمة أمام مسجد مجاور لجامع الخليفة وجلس القضاة والعلماء – ومن بينهم ابن الجوزي – على سطح المسجد وتجمع عدد كبير من الناس وقفوا أمام المسجد في صفوف وألقيت الكتب من فوق سطح المسجد في النار وقام من يقرأ مضمون هذه الكتب كتاباً كتاباً ويقول – كل هذا وعبد السلام نفسه حاضر – ألعنوا من كتب هذه الكتب ومن اعتقد بما جاء فيها فكان العامة يصيحون باللعن...

(١) انظر : البخلاء صـ ٨٧.

وحكم على عبد السلام بأنه فاسق وجرد من طيلسان العلماء وزج به في السجن... [1].

٨. وبلغت محاربة الفلسفة مداها حينما فرض على النساخ المحترفين ببغداد (سنة ٢٧٧هـ) أن يقسموا بأنهم لن يشتغلوا بانتساخ أي كتاب في الفلسفة. وكان هذا القرار يشمل كتب الكلام أيضاً.

وكان من نتيجة ذلك أن تظاهر العلماء بهجر الاشتغال بالفلسفة ابتعاداً عن مواطن الشبه حتى أن من بقي من المعتزلة كان يظهر التبرأ من الفلسفة والتعصب ضدها [2].

٩. ومن المهم الإشارة إلى أن الفلسفة بمعناها الدقيق وحدها لم تكن هي موضع الريبة بل بالغ بعض المتشددين في التخوف من كل شيء حتى (الحساب) رغم الحاجة إليه في المواريث والمعاملات بل إن (المنطق) وهو سلاح من أسلحة الدفاع عن الدين قد وجد من يعارض في تعلمه لا لشيء إلا لأنهما (الحساب والمنطق) من علوم الفلاسفة الملحدين مع أنها لا تتعرض للمذاهب الدينية أدني تعرض إن بنفيها أو بإثباتها.

فقد كان لأهل السنة بإزاء (المنطق اليوناني) موقفاً خطيراً أخطر بكثير من موقفهم بإزاء بقية (علوم الأوائل).

فبينما كان عدم الثقة تجاه العلوم اليونانية الأخرى يبدو في العناية بالتحذير منها فحسب ظهر الكفاح ضد (المنطق) في صورة معارضة خطيرة كل الخطورة، فالاعتراف بطرق البرهان الأرسطاليسية اعتبر خطراً على صحة العقائد الإيمانية لأن المنطق في نظر المعارضين يهددها تهدياً جدياً كبيراً.

---

(١) جولد تسيهر صـ ١٣٥– ١٣٧.

(٢) انظر : ابن الأثير جـ٧، صـ١٢، ود/ حموده غرابة : ابن سينا بين الدين والفلسفة صـ ٢٨– ٢٩ بتصرف خفيف.

وعن هذا الرأي عبر الشعور العام لدي غير المثقفين في هذه العبارة التي أجريت مجري المثل : (من تمنطق تزندق).

- إذن فاسم الفلسفة هو وحده الذي ينفرهم من كل ما اتصل بها من علوم مهما كان أمر هذا الاتصال ومهما كانت أهمية هذا العلم أو ذاك.

والمسلم الصالح في نظر المتشددين عليه أن يتجنب مثل هذه العلوم العقلية أشد التجنب باعتبارها خطراً على الدين وأن الجدير وحده بالتحصيل من العلوم هو العلوم الدينية أو الشرعية لا العلوم العقلية (الكلام والفلسفة والمنطق).

- ومن ثم نري الماوردي (ت ٤٥٠هـ) يحذر الناس بصراحة من أن يعتبروا أقوال النبي – صلي الله عليه وسلم – الدينية التي يحث فيها على طلب العلم حثاً قوياً تتعلق بعلوم أخري غير العلوم الشرعية كالعلوم العقلية أو العقليات [١].
- كما نري ابن تيمية (ت٧٢٩هـ) لا يفهم من لفظ علم إلا العلم الموروث عن النبي – صلي الله عليه وسلم – فإن ما عداه إما أن يكون غير نافع، وإما ألا يكون علما مطلقاً وإن سمي بهذا الاسم [٢].
- والشاطبي (ت٧٩٠هـ) يري أن الجدير وحده بالتحصيل من العلوم هو تلك العلوم التي تكون ضرورية ظاهرة النفع للأعمال الدينية وما سوى ذلك فعديم الفائدة قد بينت التجربة العادية أنه يؤدي إلى الخروج عن الصراط المستقيم [٣].

---

(١) أدب الدنيا والدين صـ ٢٥.

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى جـ١، صـ ٢٣٨ بتصرف.

(٣) الموافقات جـ١، صـ ٢٦.

وهو يفرق في نطاق علوم الدين نفسها بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية التي ليس لها من قيمة إلا أن تكون للزينة فحسب [1].

هذه نماذج من مواقف المتشددين تجاه علم من علوم الأوائل الفلسفة وفروعها خاصة (المنطق) وتجاه علم يستند على العقل والرأي وهو (علم الكلام) لكون هذه العلوم تتصل من قريب أو بعيد بالفلسفة القديمة الصادرة عن الفلاسفة الإغريق وهم وثنيون ملحدون.

والأمثلة عديدة على تلك المواقف المتشددة من قبل أهل السنة والتي منشؤها التعصب الديني ضد العلوم العقلية كلامية أم فلسفية واتهام المشتغلين بتلك العلوم في دينهم ونسبتهم إلى التعطيل ومحاربة قواعد الدين رغم أن هؤلاء العلماء من أعظم الشخصيات العلمية ورغم ما كانوا عليه من عبقرية وسعة أفق ومشاركة في نواح عديدة من نواح العلم ورغم أن مقصدهم وغايتهم نصرة العقيدة والدفاع عنها.

لكن لما كانت هذه العلوم العقلية عملاً ممقوتاً ومذموماً عند المعارضين من أهل السنة المتشددين فقد حملوا على تلك العلوم في عنف ظاهر وغضب بين وتشدد كريه منشؤه التعصب الديني –كما أشرنا – وحكموا على المشتغلين بتلك العلوم بالفسق والكفر والزندقة بالإضافة إلى أنه لا يكاد يسلم المشتغل بها من الاضطهاد والضرب وبعضهم كانت حياته عرضة للخطر، كما أن من بين الذين عنوا بتلك العلوم قتلوا في سبيلها.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن المعارضين قد أثاروا العامة ضد المشتغلين بـ (العلوم العقلية) واضطر بعض الولاة والأمراء والخلفاء لمجاراتهم

(١) نفسه جـ١، صـ ٤٥.

كسباً لقلوبهم أو حفظاً لسلطانهم، كما كان يحصل غالباً مع الفلاسفة أو لأنهم يرون أن المعارضين على حق –كما سيأتي –.

* * * * * * *

المبحث الثاني

تلا؟؟ علة ؟لتحريم من جانب ؟هل ؟لسنة
بـين
؟لعلو؟؟لعقلية (؟لكلامية ؟؟لفلسفية ؟؟لمنطقية)

فالناظر في أقوال الفقهاء وأهل الحديث ومن تبعهم يجد أن هناك تلازماً في علة التحريم بين الدراسات الكلامية والفلسفية وما تشتمل عليه من مصطلحات وافدة.

فالذين ذموا علم الكلام وحرموه عللوا ذلك بما هو موجود في الفلسفة وفروعها خاصة (المنطق) كما أن على تحريم الفلسفة والمنطق هي بعينها علة تحريم النظر في علم الكلام وما يشتمل عليه من مصطلحات فلسفية أيضاً.

وفيما يلي نشير إلى بعض الأقوال الصادرة عن الفقهاء ورجال الحديث وغيرهم، والتي تكشف لنا التلازم في علة التحريم بين الدراسات الكلامية والفلسفية :

؟؟لا : من أسباب ذم أهل السنة للكلام والفلسفة المنطق كون هذه العلوم العقلية لم يرد الأمر بها في كتاب الله وسنة رسوله – صلي الله عليه وسلم – ولا يوجد عند الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعين وسلف الأمة البحث فيها فهي علوم محدثة وكل محدثة بدعة :

يقول الإمام مالك (ت ١٧٩هـ) في ذمة لـ (علم الكلام) وتحريمه وعلة ذلك :

" إياكم والبدع، قيل يا أبا عبد الله وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان ".

وقد أخرج الهروي من طريق عبد الرحمن بن مهدي قال: دخلت على مالك وعنده رجل يسأله فقال: " لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد [1] لعن الله عمراً فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع ".

فالعلة عند الإمام مالك في تحريم علم الكلام كون الصحابة والسلف الصالح لم يتكلموا فيه من هنا كان يطعن على المشتغلين به كما رأينا.

وكان يقول : " من طلب الدين بالكلام تزندق ".

وكان يضع الاشتغال بعلم الكلام في درجة أشنع من ارتكاب الكبائر ويطمع في نجاة مرتكب الكبيرة دون الأول.

كما ذهب الإمام مالك إلى أنه لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء. وفي رأي بعض أصحابه أنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا [2].

وأجمع أهل الحديث من السلف على ذلك لأنهم يقولون: أن النبي – صلي الله عليه وسلم – قد قال : هلك المتنطعون. هلك المتنطعون. هلك المتنطعون. أي المتعمقون في البحث والاستقصاء.

- والإمام الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ) في ذمة لعلم الكلام وتحريم النظر فيه وعلة ذلك : ما أخرجه الهروي من طريق أبي ثور قال : سمعت الشافعي يقول : " حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادي عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ".

---

(١) من كبار شيوخ المعتزلة [٨٠ – ١٤٤هـ].

(٢) صون المنطق للسيوطي جـ١، صـ ٦٧ وما بعدها، وانظر : د/ يحيي هاشم : عوامل وأهداف نشأة علم الكلام صـ ٨١.

وقال الشافعي : " مذهبي في أهل الكلام تقميع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم من البلاد " (١).

فهذا النص دل على أن مما يعلل به الشافعي تحريم النظر في علم الكلام كونه أسلوباً مخالفاً لأسلوب الكتاب والسنة أو كونه سبباً لترك الكتاب والسنة ونسيانهما وذلك جار في المنطق أيضاً (٢).

وقد أخرج النووى في ذم الكلام من طريق الكربيس قال : شهدت الشافعي ودخل عليه المريس فقال لبشر : أخبرني عما تدعو إليه : أكتاب ناطق وفرض مفترض وسنة قائمة ووجدت عن السلف البحث فيه والسؤال. فقال بشر : لا إلا أنه لا يسعنا خلافه.

فقال الشافعي: أقررت بنفسك على الخطأ فأين أنت من الكلام في الفقه والأخبار، فلما خرج قال الشافعي : لا يفلح (٣).

يقول السيوطي : دل هذا النص على أن من العلة في تحريم النظر في (علم الكلام) كونه لم يرد الأمر به في كتاب ولا سنة ولا وجد عن السلف الصالح البحث فيه. وهذا بعينه موجود في (المنطق) فإنه لم يرد الأمر به في كتاب ولا سنة ولا يوجد عن السلف البحث فيه بخلاف العربية فإنه ورد الأمر بها في الحديث ووجد عن السلف البحث فيها (٤).

كما أن العلة عند الشافعي أيضاً في تحريم النظر في (علم الكلام) ما يخشي منه من إثارة الشبه والانجرار إلى البدع فحرمه قياساً على تحريم النظر في متشابه القرآن الكريم خوف الزيغ والفتنة... (٥).

---

(١) السيوطى : صون المنطق جـ١، صـ ٦٥.

(٢) نفسه جـ١، صـ٦٥.

(٣) نفسه جـ١، صـ٦٤.

(٤) نفسه جـ١، صـ٦٤.

(٥) صون المنطق والكلام جـ١، صـ ٥٢.

يقول السيوطي : " وهذه العلة بعينها موجودة في (المنطق) كما ذكره الشافعي فيكون الدليل على تحريم النظر فيه القياس على الأصل المقيس عليه (علم الكلام) وهو المتشابه المنصوص على تحريم النظر فيه وهذا قياس صحيح لا يتطرق إليه قدح بنقض ولا معارضة " (١).

ويذكر السيوطي أن أول من ذم (المنطق) وحرمه من أئمة المسلمين هو الإمام الشافعي، يقول السيوطي ما نصه : " فأقول : أما الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعون وأتباعهم فلم يرد عنهم فيه (أي المنطق) التصريح بشيء لكونه لم يكن موجوداً في زمنهم وإنما حدث في أواخر القرن الثاني وكان الإمام الشافعي – رضي الله عنه – حياً إذ ذاك فتكلم فيه وهو أقدم من رأيته حط عليه " (٢).

يقصد أن الشافعي أول من تكلم في المنطق على وجه الخصوص وذمه وحرم الاشتغال به لكون السلف الصالح لم يتكلموا فيه.

وإن كان الإمام أبو حنيفة (المتوفى سنة ١٥٠هـ) قد ذكر نصاً صريحاً في ذم العلوم الفلسفية حسب ما ذكره السيوطي أيضاً (٣) –كما سيأتي –.

ونواصل ذكر بعض النصوص الواردة للإمام الشافعي في ذمه (لعلم الكلام) ورمي المشتغلين به بالزندقة والذي ينصرف بالتالي إلى علم المنطق حسب ما تقدم.

فالشافعي بعد مناظراته مع حفص الفرد يقول : " لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما توهمته قط ولئن يبتلي المرء بجميع ما نهي الله عنه سوي الشرك خير من أن يبتلي بالكلام ".

---

(١) نفسه جـ١، صـ٦٤.

(٢) نفسه جـ١، صـ٤٧.

(٣) نفسه جـ١، صـ٦٦.

وقوله لأبي ثور الذي طلب منه أن يضع في الكلام شيئاً : " من تردي بالكلام لم يفلح ".

وقوله : " لو علم الناس ما في الكلام لفروا منه كما يفر الإنسان من الأسد ".

وقوله : " إياكم والنظر في الكلام فإن الرجل لو سئل عن مسألة في الفقه فأخطأ فيه كان أكثر شيء أن يضحك منه عليه ولو سئل عن مسألة في الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة ".

وقوله : " رأيت أهل الكلام يكفر بعضهم بعضاً ورأيت أهل الحديث يخطئ بعضهم بعضاً والتخطئة أهون من الكفر ".

وكان يقول: "إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمي والشيء غير المشئ فاشهد عليه بالزندقة " [1].

- والإمام أحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١هـ) يصدر حكمه أيضاً على أهل الكلام ويحذر من الاشتغال به فيقول : " علماء الكلام زنادقة.. لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد تري أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل " [2]، أي فساد.

ولا ينحصر ما نقل عن أهل السنة وغيرهم في ذم (علم الكلام) وتحريم الاشتغال به وبيان علة ذمهم وتحريمهم لهذا العلم لكونه لم يرد الأمر به في كتاب الله وسنة رسوله – صلي الله عليه وسلم – ولا يوجد عند الصحابة والتابعين وسلف الأمة البحث فيه لكونه من العلوم المحدثة وكل محدثة بدعة.

وهي نفس العلة في ذم وتحريم الدراسات الفلسفية (الفلسفة والمنطق).

ثانياً : من أسباب ذم الدراسات الكلامية والفلسفية وتحريمها من قبل أهل السنة اشتمالها على الكثير من المصطلحات الوافدة التي لم يرد بها الكتاب

(١) صون المنطق والكلام جـ١، صـ ٦٥ وما بعدها.

(٢) نفسه جـ١، صـ١٧٧.

والسنة وما يتولد من استخدام تلك المصطلحات من شر وفتنة مثل مصطلح : الطفرة – التولد – الجوهر – العرض – الكيفية – الكمية – الأينية – الحركة – السكون – الجسم – الألوان – الكمون – التداخل – الجوهر الفرد... إلى غير ذلك من المصطلحات التي استعملها المتكلمون والفلاسفة ودارت على ألسنتهم إذ لم يدع الرسول – صلي الله عليه وسلم – الناس في أمر الدين إلى الاستدلال بمثل هذه المصطلحات فضلاً عما أدت إليه هذه المصطلحات وغيرها – في نظر أهل السنة – من منازعات وخصومات بين المسلمين خاصة الفرق الكلامية لعدم الاتفاق على مدلولات تلك المصطلحات وتركيباتها فأصبح لكل فرقة مصطلحاتها الخاصة بها فظهرت الفرقة بين صفوف المسلمين.

- ونشير فيما يلي إلى بعض الأقوال الصادرة عن الفقهاء ورجال الحديث وغيرهم في ذم علم الكلام والمنطق لاشتمالهم على تلك المصطلحات الفلسفية فمن ذلك :

– أم الإمام أبو حنيفة (ت١٥٠هـ) يذم العلوم الكلامية والفلسفية لاشتمالها على مصطلحات لم يتناولها السلف الصالح ولكونها محدثة وكل محدثة بدعة :

فقد ذكر الهروي أن رجلاً قال لأبي حنيفة : ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في (الأعراض) و (الأجسام) ؟ فقال : " مقالات الفلاسفة وعليك بطريق السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة " (١).

– كما أن الشافعي (ت٢٠٤هـ) يشير إلى ما يتولد من شر وفتن واختلاف وإثارة شبه وانجرار إلى البدع جراء استخدام المصطلحات اليونانية فيقول : " ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس " (٢).

(١) صون المنطق والكلام حـ١، صـ ٦٦.

(٢) نفسه حـ١، صـ ٤٨.

فالشافعي يشير إلى أن القرآن الكريم والسنة المطهرة لم ينزلا إلا على لسان العرب ومصطلحهم ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على لسان مصطلح اليونان ولكل قوم لغة واصطلاح.

ويعلق السيوطي على كلام الشافعي بقوله : " أشار الشافعي بذلك إلى ما حدث في زمن المأمون من القول بخلق القرآن ونفي الرؤية وغير ذلك من البدع وأن سببها الجهل بالعربية والبلاغة الموضوعة فيها من المعاني والبيان والبديع الجامع لجميع ذلك قوله لسان العرب الجاري عليه نصوص القرآن والسنة وتخريج ما ورد فيها على لسان يونان ومنطق أرسطاطاليس الذي هو في حيز ولسان العرب في حيز ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح يونان ولكل قوم لغة واصطلاح وقد قال تعالي : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) [1].

فمن عدل عن لسان الشرع إلى لسان غيره وخرج الوارد من نصوص الشرع عليه جهل وضل ولم يصب القصد. ولهذا نري كثيراً من أهل المنطق إذا تكلم في مسألة فقهية وأراد تخريجها على قواعد علمه أخطأ ولم يصب ما قالته الفقهاء ولا جري على قواعدهم... والغرض بهذا الكلام شرح قول الشافعي – رضي الله عنه – وأنه من أراد تخريج القرآن والسنة والشريعة على مقتضي قواعد المنطق ولم يصب غرض الشرع ألبته فإن كان في الفروع نسب إلى الخطأ وإن كان في الأصول نسب إلى البدعة وهذا أعظم دليل على تحريم هذا الفن فإنه سبب للأحداث والابتداع ومخالفة السنة ومخالفة غرض الشارع وكفي بهذا دليلاً[2].

(١) سورة إبراهيم : ٢٤.

(٢) صون المنطق والكلام حـ١، صـ ٤٨– ٤٩.

وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) أيضاً يذم الكلام والمتكلمين لاستخدامهم مصطلحات وافدة لم يأت بها الكتاب والسنة وأن ما في الكتاب والسنة من معاني ولطائف لا يدرك بمثل هذه المصطلحات التي لم يتفق على مدلولاتها بين أصحاب الفرق والمذاهب.

فيقول في ذلك : " إن معاني الكتاب والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والأينية " (١).

كما أن الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) قد أشار إلى أن من وجوه الخلاف مع الفلاسفة الاختلاف في الاصطلاح كتسمية الصانع (جوهراً).. " (٢).

وابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) الذي يعد إماماً من أكبر أئمة الحديث لم يكتف بترك الاشتغال بـ (الفلسفة والمنطق) بل صار خصماً لدوداً للفلسفة وفروعها باسم الدين وهاجمها هجوماً عنيفاً.

يقول ابن الصلاح في فتواه عن الفلسفة مبيناً علة تحريمه لها :

" إن الفلسفة رأس السفه والانحلال ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة ومن تلبس بها (أي الفلسفة) تعليماً وتعلماً قارنه الخذلان والحرمان واستحوذ عليه الشيطان وأي فن أخزي من فن يعمي صاحبه ويظلم قلبه عن نبوة سيدنا محمد – صلي الله عليه وسلم – مع انتشار آياته المستبينة ومعجزاته المستنيرة " (٣).

ويعلل تحريمه لأحد فروع الفلسفة وهو (المنطق) بما هو موجود في تحريم النظر في (علم الكلام) فيقول :

---

(١) تأويل مختلف الحديث صـ١٢– ١٤.

(٢) انظر : تهافت الفلاسفة.

(٣) مقدمة ابن الصلاح صـ ٣٥.

" وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ومدخل الشر شر وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالح وسائر من يقتدي به من أعلام الأمة وسادتها وأركان الأمة وقادتها قد برأ الله الجميع من معرة ذلك وأدناسه وطهرهم من أو ضاره"[1].

وكأن ابن الصلاح قد استنبط هذه العلة في تحريم (المنطق) من تعليل الإمام الشافعي في تحريمه لـ (علم الكلام) –كما تقدم –.

كما ينص ابن الصلاح عن أن استعمال (المصطلحات المنطقية) من المنكرات فيقول : " وأما استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشعة والرقاعات المستحدثة وليس بالأحكام الشرعية والحمد لله افتقار إلى المنطق أصلاً وما يزعمه المنطقي للمنطق من أمر الحد والبرهان فقعاقع أغني الله عنها كل صحيح الذهن لا سيما من خدم نظريات العلوم الشرعية.

ولقد تمت الشريعة وعلومها وخاض في بحر الحقائق والدقائق علماؤها حيث لا منطق ولا فلسفة ولا فلاسفة ومن زعم أنه يشتغل مع نفسه بالمنطق والفلسفة لفائدة يزعمها فقد خدعه الشيطان ومكر به [2].

ويقول ابن الصلاح أيضاً محرضاً على المشتغلين بالفلسفة وحكمه عليهم : " فالواجب على السلطان أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء (أي الفلاسفة) ويخرجهم عن المدارس ويبعدهم ويعاقب على الاشتغال بفنهم ويعرض من ظهر عنه اعتقاد عقائد الفلاسفة على السيف أو الإسلام لتخمد نارهم وتمحي آثارهم... ومن أوجب هذا الواجب عزل من كان مدرس مدرسة من أهل الفلسفة والتصنيف فيها والإقراء لها ثم سجنه وإلزامه منزله وإن زعم أنه غير

(١) نفسه صـ٣٥.

(٢) نفسه صـ٣٥.

معتقد لعقائدهم فإن حاله تكذ به والطريق في قلع الشر قلع أصوله وانتصاب مثله مدرساً من العظائم جملة. والله تعالي ولي التوفيق والعصمة وهم أعلم " [1].

وهذه الجملة العدائية الشديدة الخصومة للعلوم الفلسفية والتي أصبحت وثيقة عليها يعتمد خصوم (المنطق) وبها يهيبون ويستشهدون.

ومنذ هذا التاريخ اعتبر الاشتغال بـ (المنطق) من بين الأشياء المحرمة على المؤمن الصحيح الإيمان وكان لهذا التحريم مظاهر شتي فكان قاسياً شديداً حيناً وكان أقل قسوة وشدة في أحيان أخري.

ومن الأمثلة المأخوذة من الحياة الواقعية في تطبيق الفتوى التي قام بها ابن الصلاح والتي تقضي بتحريم (الفلسفة والمنطق) :

ما نراه من أحد مشايخ الشافعية المشهورين وهو تاج الدين السبكي (ت٧١١هـ) فقد اتخذ بإزاء الفلسفة موقفاً مملؤاً بأشد ما يمكن تصوره من العداوة بل ويتخذ هذا الموقف نفسه بإزاء المتأخرين من المتكلمين الذين مزجوا كلامهم بكلام الفلاسفة.

فالسبكي يوافق موافقة تامة وبدون شرط على ما أفتي به " جماعة من أئمتنا ومشيختنا ومشيخة مشيختنا بتحريم الاشتغال بالفلسفة " [2] على حد تعبيره.

- وابن تيميه (ت٧٣٩هـ) هو الآخر يري أن (منطق اليونان) لا يميز بين الصدق والكذب إذ لا يميز بينهما إلا الأنبياء ولهذا أمرنا الله أن نؤمن بكل ما جاء به الأنبياء فإنهم معصومون ولا يخطؤن بأي حال من الأحوال. كما أن إثبات العلم بالصانع والنبوات ليس موقوفاً على شيء

(١) نفسه صـ٣٥.

(٢) انظر : معيد النعم ومبيد النقم صـ١١١.

من الأقيسة. بل يعلم بالآيات الدالة على شيء معين لا شركة فيه ويحصل بالعلم الضروري الذي لا يفتقر إلى نظر[1].

ويعلل ابن تيمية ذمه (للمنطق) بقوله : أنه من الخطأ الظن بأن المنطق شيء ضروري لتحصيل العلم. إذ أن أفضل هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم وأئمة المسلمين عرفوا ما يجب عليهم وكمل علمهم وإيمانهم قبل أن يعرف منطق اليونان. فكيف يقال إنه لا يوثق بالعلم إن لم يوزن به أو يقال إن فطر بني آدم في الغالب لا تستقيم إلا به [2].

- وابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) في معرض نقده للمنطق يقول : " إنه لو كان علماً صحيحاً لكانت غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوهما فكيف وباطله أضعاف حقه وفساده وتناقض أصوله واختلاف مبانيه توجب مراعاتها الذهن أن يزيغ في فكره ولا يؤمن بهذا إلا من قد عرفه وعرف فساده وتناقضه ومناقضة كثير منه للعقل الصريح بحيث أن المنطق ما دخل على علم إلا أفسده وغير أوضاعه وشوش قواعده " [3].

والسيوطي (المتوفى سنة١٠٥٥هـ) يشير إلى أنه قد ترك الاشتغال بـ (المنطق) بناء على فتوى ابن الصلاح فيقول : " وقد كنت في مبادئ الطلب قرأت شيئاً في (علم المنطق) ثم ألقي الله كراهيته في قلبي وسمعت أن ابن الصلاح أفتي بتحريمه فتركته لذلك فعوضني الله تعالي عنه (علم الحديث) الذي هو أشرف العلوم "[4].

وعن التلازم في علة التحريم بين الكلام والمنطق يقول :

(١) الرد على المنطقيين صـ ٤٨٢ و صـ٣٥٦.

(٢) نفسه صـ١٧٩.

(٣) مفتاح دار السعادة حـ١، صـ ١٥٧– ١٥٨.

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة حـ١، صـ١٥٥.

" ولما شرعت في ذلك – أي في تصنيف كتابه – ولزم منه الإنجرار إلى نقل نصوص الأئمة في منع النظر في (علم الكلام) لما بينهما (أي المنطق والكلام) من التلازم سميت الكتاب (صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام) " (١).

ويذهب السيوطي إلى أن (الفلاسفة) زاغوا عن طريق الحق ونبذو الدين وراء ظهورهم إذ أنهم رجعوا إلى عقولهم وخواطرهم وآرائهم وإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم فإن استقام قبلوه وإن لم يستقيم في ميزان عقولهم ردوه وإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستنكرة (٢).

وفي معرض التفرقة بين أهل الحديث في اتفاقهم وبين الفلاسفة في اختلافه، يري السيوطي : أن السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق.

أما أهل البدعة (ويقصد بهم الفلاسفة) فقد أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الاختلاف. فإن النقل والرواية في الثقات قلما يختلف وإن اختلف في لفظة أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه وأما دلائل العقول فقلما تتفق بل عقل كل واحد يري صاحبه غير ما يري الآخر (٣).

ويقول : " ولهذا ذم علماء السلف النظر في (علم الأوائل) : فإن علم الكلام مولد من علم الحكماء الدهرية فمن أراد الجمع بين علم الأنبياء وبين علم الفلاسفة بذكائه فلابد وأن يخالف هؤلاء وهؤلاء ومن كف ومشي خلف ما جاءت به الرسل من إطلاق ما أطلقوا ولم يتحذلق ولا عمق فإنهم – صلوات الله

(١) صون المنطق حـ١، صـ٣٥– ٣٦.
(٢) نفسه حـ١، صـ١٦٦.
(٣) نفسه حـ١، صـ١٦٨.

عليهم – أطلقوا وما عمقوا قد سلك طريق السلف الصالح وسلم له دينه ويقينه نسأل الله السلامة في الدين".

ويقول : " وقد يدعي دخول هذه الصورة بخصوصها – أعني تحريم النظر في المنطق – تحت عموم النصوص الدالة على تحريم كل ما جر إلى فساد أو خشي منه فتنة فيكون التحريم مستفاداً من عموم النصوص لا من خصوص القياس وللمستدل أن يستعمل كلاً من الأمرين ويكون الدليلان تعاوناً طابق خصوص القياس عموم النصوص " [1].

ويقول : " والذي يخرج على أصول بقية أرباب المذاهب المتبوعة تحريم (المنطق) فإنهم نصوا على تحريم (علم الكلام) وعللوه بما هو موجود في المنطق ولهذا صرح المتأخرون من أصحابهم بتحريمه تخريجاً على أصولهم"[2].

نستخلص مما سبق :–

١. إن معارضة أهل السنة ليست قاصرة على (علم الكلام ومصطلحاته) فقط وإنما تشمل إلى جانب ذلك الدراسات الفلسفية (الفلسفة والمنطق). فمعارضتهم إذن كانت للعلوم العقلية سواء كانت كلامية أم فلسفية.
٢. كما أن النصوص التي جاءت على لسان الفقهاء وأهل الحديث تكشف لنا أن هناك تلازماً في علة التحريم من العلوم العقلية ومصطلحاتها فعلة تحريم الكلام ومصطلحاته هي بعينها علة تحريم الفلسفة والمنطق ومصطلحاتهما.

(١) صون المنطق والكلام حـ١، صـ٥٣.
(٢) نفسه صـ٦٦– ٦٧.

فالذين نصوا على تحريم الكلام ومصطلحاته عللوه بما هو موجود في الفلسفة والمنطق وبالعكس.

إذن بين هذه (العلوم العقلية) تلازم في علة التحريم عند أهل السنة.

٣. إن فتوى ابن الصلاح والتي تعد أوضح تصوير للموقف المتشدد من الفلسفة والمنطق والتي تقضي بتحريمها كان لها تأثير في وسط أهل السنة كما صرح عدد منهم بذلك قبل قليل. وإن كان الموقف المتشدد من الفلسفة والمنطق وتحريمهما من قبل أهل السنة كان قبل ذلك بكثير –كما تقدم –.

وجولد تسيهر يري : أن فتوى ابن الصلاح بتحريم الفلسفة والمنطق ليست إلا تعبيراً عن الرأي السائد في البيئات السنية في مناطق واسعة من العالم الإسلامي إبان ذلك العصر ولم يكن الباعث عليه هذا التحريم الذي قضي به هذا العالم الديني الشهير [١] (ابن الصلاح).

ويقول : والبينة الواضحة على هذا ما حدث لأحد معامريه ونعني به سيف الدين على الآمدي (المتوفى سنة ٦٣١هـ) الذي أتهم بأنه فاسد العقيدة يقول بالتعطيل ويذهب مذهب الفلاسفة والذي اضطهد اضطهاداً منشؤه التعصب الديني لأنه اشتغل بالدراسات الفلسفية (المنطق خصوصاً) [٢] –كما تقدم –.

وكلام جولد تسيهر هذا يحتاج إلى تدقيق فنحن لا ننكر أن فتوى ابن الصلاح ليست هي الباعث الوحيد في ذم (المنطق) وتحريمه فهناك بواعث أخري قبل هذا العالم وبعده لكن لا شك أن فتوى هذا العالم كان لها تأثير في وسط أهل السنة وقد ذكرنا منذ قليل تأثر السبكى والسيوطى وغيرهما بفتوى ابن الصلاح وتصريحهما بذلك.

---

(١) التراث اليوناني صـ١٦٢.

(٢) نفسه صـ١٦٢.

بل إننا نري أن ابن الصلاح هو الآخر قد تأثر برأي الشافعي تجاه المنطق فيعتمد على العلة التي اعتمدها الشافعي في تحريم المنطق.

لكن من المهم أن نشير إلى أن المعارضة في دراسة (المنطق) على وجه الخصوص لم تصل أوج شدتها إلا في العصر الذي تلا الإمام الغزالي.

فنحن نعتقد أن الحملة على الفلسفة تنتسب في كثير من أبعادها إلى الغزالي فهو الذي حمل لواء الحملة المنظمة ضد الفلسفة ورجالها بكتابة (تهافت الفلاسفة) ومن المعروف أن هذا الكتاب يمثل وجهة النظر المناوئة للفلسفة والفلاسفة.

والغزالي في هذا الكتاب لم يتوقف عند حد ذم الفلسفة وتحقيرها وبيان أنها لا تؤدي إلا إلى أخطاء وتناقضات وأيضاً بيان تهافت الفلاسفة فيما ذهبوا إليه من ناحية الدين وناحية الفلسفة معاً لم يتوقف الغزالي عند هذا الحد ولكنه تجاوز ذلك إلى اتهام الفلاسفة المسلمين بـ (الكفر والإلحاد) في بعض المسائل واتهامهم في البعض الآخر بالابتداع [1] مما دفع ابن رشد للرد عليه في تلك المسائل.

ثالثاً : ولم يتوقف الأمر عند حد ذم الكلام والفلسفة وتحريم الاشتغال بهما للأسباب التي أشرنا إليها إنما ألفوا بعض الكتب في ذلك :

١. فمن الكتب التي ألفها أهل السنة في ذم (علم الكلام) وتحريمه والإنكار على المشتغلين به :

- كتاب (ذم الكلام وأهله) لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (المتوفى سنة ٤٨١هـ).
- وكتاب (صون المنطق والكلام عند فني المنطق والكلام) للسيوطي. وفي هذا الكتاب : ن

(١) انظر : تهافت الفلاسفة والمنقذ من الضلال.

قد تجاه علم من علوم الأوائل وهو (المنطق) .

وفيه نقد أيضاً تجاه علم يستند على العقل والرأي وهو (علم الكلام).

فالكتاب قد حوي العديد من النصوص الواردة في موقف علماء أهل السنة من العلوم العقلية.

- وكتاب (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله) لابن عبد البر (المتوفى سنة ٤٦٣هـ) هاجم فيه (علم الكلام) والمشتغلين به.

٢. ومن الكتب الواردة في ذم (الفلسفة والمنطق) وتحريمهما والهجوم على المشتغلين بهما :-

- الخوارزمي (ت٣٨٣هـ) ينتقد الفلسفة في كتابه (مفيد العلوم ومبيد الهموم) في الباب الثالث (في الرد على الفلاسفة) قال فيه : " وهم قوم من اليونانيين تحذلقوا في المعقولات حتى وقعوا في وادي الحيرة والخباط وتحيروا في (الالهيات) وبنوا مقالاتهم على التشهي المحض والدعاوى الصرف ويزعمون أنهم أكيس خلق الله وسياق مذهبهم يدل على أنهم أجهل خلق الله وأحمق الناس وأساس الإلحاد والزندقة مبني على مذهبهم والكفر كله شعبة من شعبهم.. " (١).
- والسهروردي المتصوف (ت٦٣٢هـ) له كتاباً بعنوان [كشف القبائح اليونانية ورشف النصائح الإيمانية] حمل فيه على الفلسفة اليونانية حملة شعواء وقد أهداه إلى الخليفة الناصر. وللسهروردي كتاباً آخر بعنوان [أدلة العيان على البرهان في الرد على الفلاسفة بالقرآن] هاجم فيه الفلسفة والفلاسفة.

(١) انظر : الشيخ مصطفي عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة صـ٨٨ نقلاً عن : مفيد العلوم.

- وابن تيمية (ت٧٢٩هـ) الذي كان عدواً لدوداً للفلسفة وهذا الرأي العدائي للفلسفة وارد في معظم مؤلفاته العديدة وله رسالة خاصة عنوانها (الرد على عقائد الفلاسفة).
- وقد وردت كتب عديدة في ذم أحد فروع الفلسفة وتحريم الاشتغال به وهو (المنطق) على وجه التخصيص :

فابن تيمية (ت٧٢٩هـ) له العديد من الكتب في ذم (المنطق اليوناني).

فمن ذلك : كتاب : (نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان).

وكتاب : (الرد على المنطقيين).

وكتاب : (نقض المنطق).

وللسيوطي (ت٩١١٥٥هـ) أيضاً كتب في ذم (المنطق) وتحريمه نقل فيها العديد من النصوص الواردة لبعض أئمة الإسلام في ذم المنطق وتحريم الاشتغال به.

من هذه الكتب :-

- (القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق).

يقول عنه : "كنت قديماً في سنة سبع وثمان وستين وثمانمائة. ألفت كتاباً في تحريم الاشتغال بفن المنطق سميته (القول المشرق) ضمنته نقول أئمة الإسلام في ذمه وتحريمه " [١].

- و (صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام).

يقول السيوطي : " ولما شرعت في ذلك (أي في تصنيف كتابه) ولزم منه الانجرار إلى نقل نصوص الأئمة في منع النظر في (علم الكلام) لما بينهما (أي

(١) انظر : صون المنطق والكلام حـ١، صـ٣٣.

المنطق والكلام) من التلازم سميت الكتاب (صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام) [1].

(١) نفسه حـ١، صـ٣٥– ٣٦.

المبحث الثالث

تأييد بعض ؟لخلفا؟ لأهل ؟لسنة ؟ معا؟ضتهم للعلو؟؟لعقلية

؟؟ثر ؟لك على تلك ؟لعلو؟

؟؟لا : أشرنا سابقاً إلى أن بعض الولاة والأمراء والخلفاء قد اضطروا لمجارات أهل السنة في معارضتهم للعلوم العقلية (الكلامية والفلسفية والمنطقية) كسباً لقلوبهم واستدامة لسلطانهم أو لأنهم يرون أن أهل السنة على حق.

وسواء كان هذا السبب أو ذاك فإن أهل السنة المتشددين قد زادت شوكتهم في ظل تأييد الحكام لهم ومناصرتهم فكان عدم الثقة لدي البيئات الدينية تجاه الدراسات الكلامية والفلسفية والمنطقية يزداد وكان اضطهاد المشتغلين بتلك العلوم أشد وأعنف.

يقول المسعودي : " حين آل الحكم إلى الخليفة المتوكل (المتوفى سنة ٢٤٧هـ) أيد طريقة أهل الحديث وأمر بترك النظر والمباحثة والجدل وأمر الناس بالتسليم والتقليد كما أمر الشيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة " [١].

ويروي أن السبب في صنع المتوكل هذا : أنه خالف أباه وأخاه في الرأي في مسألة القول بخلق القرآن فنهي عن الجدل والمناظرة التي كانت تدور في مجالس المتكلمين وفي مجالس الخلفاء أنفسهم للبحث في هذه المسألة وأمر بالسنة والتقليد إرضاء للمتمسكين بظواهر الكتاب الذين لا يميلون إلى التأويل والشرح العقلي للعقيدة.

---

(١) التنبيه والإشراف حـ٢، صـ ٢٨٨.

ولم يكتف المتوكل بالحجر على أصحاب الرأي عامة والفلاسفة خاصة بل حجر على أهل الذمة أيضاً ومعظمهم من العلماء الذين لهم فضل على النقل والترجمة [1].

وقد انتهز أهل الحديث هذه الفرصة – فرصة تأييد المتوكل وتشجيعه لهم – فشنوا على علماء الكلام خاصة (المعتزلة) حرباً لا هوادة فيها لأنهم في نظرهم مارقون عن الدين ويجب عقابهم فاستخدموا في هجومهم على (المعتزلة) كل الأسلحة من رد عليهم وتشهير بهم واضطهادهم واعتداء على بعضهم.. إلخ.

ولما كان إطلاع المعتزلة على الفلسفة اليونانية التي ترجمت إلى العربية في عهد المأمون (٢٩٨: ٢١٨هـ = ٨١٣ :٨٣٣م) هو السبب الذي أدي بهم إلى الضلال والمروق عن الدين – في رأي معارضيهم– لما كان الأمر كذلك فقد وجه أهل السنة حملتهم بعد ذلك إلى (الفلسفة) فأخذوا في اضطهاد كل من يتصل بـ (الفلسفة) و(المنطق) على نحو ما رأينا منذ قليل.

ومن الأمثلة على ذلك – إضافة إلى ما تقدم – ما شعر به الكندى (ت٢٥٢هـ) فيلسوف العرب من قلق وخوف بعد عودة سلطان أهل السنة في عهد المتوكل.

" فالمتوكل الذي استخلف بعد ذهاب الواثق (ت٢٣٢هـ) كان من أشد خصوم المعتزلة وموقفه الحقيقي ينطلق من قاعدة جبر خواطر المحدثين الذين أصابتهم داهية المأمون (الذي كان معتزلياً) والمعتصم.

ومن هنا نجد (المتوكل) شهر السيف في وجه خصومه المعاندين فأطاح برؤوسهم عن كواهلها ونزل عليهم كوابل يمطرهم بالموت والدمار فقطع أرحامهم

(١) د/ محمد البهي : الجانب الإلهي صـ١٧٣.

وسبي نساءهم وحرق تراثهم وضرب شيوخهم بالسياط ولم ينج منه حتى (الكندي) الفيلسوف " [1].

" فالمتوكل طرد الفيلسوف من عمله كطبيب ومنجم لقصر الخلافة.. وعندما عمل الخليفة سيفه ورجاله ضد الاعتزال أباد تراثهم الفكري فلم يبق من مأثوراتهم تلك سوى كتاب (الانتصار) للخياط المعتزلى وذهبت مؤلفاتهم الأصلية طعمة لنزوة المتوكل " [2].

وهذا الموقف المتشدد من العلوم العقلية بسبب تشجيع الحكام للمعارضين لها لم يقتصر على المشرق الإسلامي بل امتدت إلى المغرب الإسلامي أيضاً في أغلب عصور الدولة الإسلامية هناك ابتداء من الفتح الإسلامي للأندلس (سنة٩٢هـ) إلى آخر عهد (الموحدين) في نهاية القرن السادس الهجري تقريباً.

وكنموذج لذلك إضافة إلى ما تقدم نشير إلى نكبة الفلسفة في عهد (هشام بن الحكم) الذي كان غلاماً صغيراً فاستبد به حاجبه (المنصور بن أبي عامر المتوفى سنة ٣٩٣هـ).

فقد عمد المنصور هذا إلى خزائن الكتب التي كان قد جمعها (الحكم الثاني وأمر بفرزها بحضور الخاصة من أهل العلم والدين وإخراج ما فيها من كتب الفلسفة والمنطق والنجوم ولما تم لهم إخراج تلك الكتب – إلا ما تخلف منها سهوا – أحرق بعضها وطرح البعض الآخر في أبار القصر وهيل عليها التراب والأحجار.

وكما يقول صاعد الأندلس : فإن المنصور بن عامر فعل ذلك تحبباً إلى عوام الأندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة السابق (الحكم) عندهم لأنه كان يعني بالعلوم الفلسفية إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بألسنة

(١) انظر : د/ جعفر آل ياسين : فيلسوفن رائدان الكندى والفارابي صـ٢٢– ٢٣.

(٢) نفسه صـ٢٣ هـ.

رؤسائهم وكان كل من قرأها متهماً عندهم بالخروج من الملة ومظنوناً به الإلحاد في الشريعة[١].

ويذكر ابن أبي أصيبعة : أن أبا يوسف يعقوب من خلفاء الموحدين والذي تولي الحكم (سنة٥٨٠هـ) قصد ألا يترك شيئاً من كتب المنطق والحكمة باقياً في بلاده وأباد كثيراً منها بإحراقها وتوعد بالضرب من يضبط مشتغلاً بهذه العلوم أو عنده شيء من كتبها [٢].

وقد شمل الاضطهاد والتحريم (علم الكلام) إلى جانب الفلسفة في (دولة المرابطين) خاصة في عهد (على بن يوسف بن تاشفين) أحد أمرائهم الذي قرب الفقهاء وابعد المتفلسفين.

والمراكشي يصور لنا موقف هذا الرجل من علم الكلام ورجاله فيقول :

" واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء... ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه وأنه بدعة في الدين حتى استحكم في نفسه بغض علم الكلام وأهله فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه[٣].

ولما دخلت كتب الغزالي أمر أمير المسلمين بإحراقها وتهدد بالوعيد الشديد من سفك الدم واستئصال المال من وجد عنده شيء منها [٤].

---

(١) انظر : طبقات الأمم صـ٧٦.

(٢) طبقات الأطباء حـ٢، صـ٦٩ بتصرف خفيف.

(٣) انظر : د/ محمد عبد الرحمن بيصار : فلسفة ابن رشد صـ٣٠ بتصرف.

(٤) نفسه صـ٣٠.

رغم أن الغزالي قد اتهم الفلسفة ومنتحليها بالكفر في بعض المسائل – كما تقدم –.

ولا ينسي التاريخ محاكمة (ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥هـ) وهو الشيخ المسن هذه النكبة التي شملت التعرض لأفعال ابن رشد ومحاولة الحد من حريته لدرجة كبيرة.

يدلنا على ذلك : ما ينقله أبو الحسن بن قطراك عن ابن رشد قوله : أعظم ما طرأ على في النكبة أني دخلت أنا وولدي عبد الله مسجداً بقرطبه وقد حانت صلاة العصر فثار علينا بعض سفلة العامة فأخرجونا منه (أي من المسجد).

كما أننا إذا رجعنا إلى ما كتبه الذهبي عن سيرة ابن رشد وجدناه يقول : ذكر شيخ الشيوخ تاج الدين : لما دخلت إلى البلاد سألت عنه – أي ابن رشد – فقيل إنه مهجور في داره من جهة الخليفة (يعقوب) ولا يدخل أحد عليه ولا يخرج هو إلى أحد فقلت : لم قالوا : رفعت عنه أقوال ردية ونسب إليه كثرة الاشتغال بالعلوم المهجورة من علوم الأوائل ومات وهو محبوس بداره بمراكش[١].

فالسبب الحقيقي وراء نكبة ابن رشد ومحاكمته يرجع إلى اهتمام ابن رشد بالعلوم الفلسفية والمنطقية وعلى وجه الخصوص شرحه لكتب أرسطو وتلخيصها.

فإذا أضفنا إلى ذلك نفوذ الفقهاء في عصر ابن رشد.. فإننا نستطيع معرفة السبب الأساسي لنكبة ابن رشد ومحاكمته [٢] التي لا ظل للعدل فيها.

(١) انظر : د/ عاطف العراقي : تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية صـ٢٠٨.

(٢) نفسه صـ٢٠٩، وصـ٢١٢.

وهكذا فإن تشجيع بعض الحكام لأهل السنة كان له أثره في ازدياد شوكتهم وقوة معارضتهم للعلوم العقلية واضطهاد المشتغلين بها بصورة أشد وأعنف.

ثانياً : ولكن من المهم أن نذكر أن تأييد الحكام وتشجيعهم لأهل السنة لسبب أو لآخر ضد أصحاب النزعة العقلية في الإسلام كما فعل (المتوكل) لم يكن هو طابع كل الحكام تجاه العلوم العقلية فبعضهم وقف موقفاً مغايراً تماماً بل إن بعض الحكام أو الخلفاء ينسب إليه الفضل في ترجمة العلوم العقلية وتأييدها [1].

ولا ينسي التاريخ أن ترجمة (المنطق) حصلت أيام المنصور [١٣١: ١٥٨هـ] في أول عهد المسلمين بالترجمة الرسمية وحصل بجانب ترجمته أن ترجمت في الوقت نفسه وربما قبل ذلك العلوم الكونية الأخرى من طب وفلك والعلوم الرياضية من حساب وهندسة.

وأيضاً الرشيد (ت١٩٣هـ) الذي كان فضله على الترجمة من حيث : أنه أمر بإعادة ترجمة الكتب التي سبقت ترجمتها في العهود التي قبله أكثر من تشجيعه على ترجمة كتب جديدة.

ثم في عهد المأمون (١٩٨ : ٢١٨هـ) وبعد مضي نصف قرن تقريباً على ترجمته نقلت بقيت الفروع الفلسفية الأخرى من إلهية وأخلاقية ونفسية.

ويعد عصر (المأمون) هو العصر الذهبي للترجمة على العموم والعصر الرسمي الأول والأخير لترجمة (الفلسفة وفروعها) [2].

وابن صاعد الأندلسي جعل شخص (المأمون) سبباً في ترجمة الكتب الفلسفية فيقول : " لما أفضت الخلافة إلى (المأمون) تمم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم من مواطنه واستخراجه من معادنه بفضل

(١) انظر : الشيخ أبو زهرة تاريخ الجدل صـ٢٠٧ وما بعدها.

(٢) د/ محمد البهي : الجانب الإلهي صـ١٦٧ بتصرف.

همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة فداخل ملوك الروم وأتحفهم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو وسقراط... وغيرهم من الفلاسفة فاختار لها مهرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما يمكن ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها" (١).

كما أن رغبة (المأمون) في القياس العقلي وتأثره بمذهب (الاعتزال) كان من الأسباب التي حملته على ترجمة (الفلسفة) : فقد نشأ (المأمون) تلميذاً لـ يحي بن المبارك اليزيدي المعتزلي ثم صديقاً لـ ثمامة بن أشرس زعيم المذهب الثمامي في الإعتزال وأثر الأستاذية والصداقة أثر بعيد في توجيه النفس نحو هدف معين.

ولما تمكن هذا المذهب منه قرب إليه مشيخته أمثال : أبي الهذيل العلاف وإبراهيم بن سيار النظام وأخذ يناصر أشياعه. وصرح بأقوال لم يستطيعوا هم التصريح بها من قبل خوفاً من غضب الفقهاء وفي جملتها القول بخلق القرآن فلما سمع الفقهاء منه ذلك ثارت ثائرتهم وعظم ذلك على غير المعتزلة وهم أكثر عدداً ولم يعد في وسعه الرجوع عن قوله فعمل أولاً على تأييده بالبرهان والحجة واستعان على ذلك بترجمة كتب (المنطق والفلسفة الإلهية من اللغة اليونانية ودرسها درساً جيداً حتى تقوى حجته وتعلوا كلمته....

واعتناق (المأمون) مذهب (الاعتزال) حمله على مناصرة (المعتزلة) وعلى تأييد رأيهم في القول بخلق القرآن بالحجة والبرهان (٢).

ووقف من أهل الحديث بقيادة الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) موقفاً معادياً وذلك لامتناعه عن القول بخلق القرآن الذي يقول به المعتزلة.

---

(١) طبقات الأمم.

(٢) د/ محمد البهي : الجانب الإلهي صـ ١٧٠.

ولما كان الجدل حول القرآن وهو كلام الله يدور حول صفة من صفات الله ظن المأمون ظناً راجحاً على الأقل – إن لم يكن اعتقد – أن في الفلسفة الإلهية الإغريقية ما يساعده على التمكن في الحجة وعلى الانتفاع بها في إقناع خصمه [1].

كما أن رغبة (المأمون) في حرية الفكر إلى مدي بعيد وحسن ظنه بالفلاسفة واعتقاده فيهم : أنهم صفوة الخلق يجب أن يستفيد العالم برأيهم.

ويحكى عنه أنه قال : " الحكماء هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة وارتفعوا بقواهم عن دنس الطبيعة هم ضياء العالم وهم واضعوا قوانينه ولولاهم لسقط العالم في الجهل والبربرية "[2].

ولا شك أنه كان لإقدام (المأمون) كخليفة على ترجمة كتب الفلسفة أثر في نفوس أصحاب النزعة العقلية في الإسلام (خاصة الفلاسفة) :

يقول الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة : "كان الكندي قد تأدب ببغداد وأقام بها أثناء ازدهار ملكاته وتفتحها وكان قد أظله الخلفاء المستنيرون منذ عصر (المأمون) إلى بداية عصر (المتوكل)حيث بلغت حركة ترجمة الفكر الأجنبي خصوصاً علوم اليونان الفلسفية ذروتها بفضل تشجيع هؤلاء الخلفاء"[3].

ولا يفوتنا أن نذكر – ونحن بصدد الحديث عن تشجيع الخلفاء للعلوم العقلية خاصة الفلسفة واثر ذلك في ازدهارها ورفع مكانة رجالها – أن كتاب (الكندي) في الفلسفة الأولي قد كتبه للخليفة المعتصم بالله الذي ولي الخلافة بين [٢١٨و٢٢٧هـ].

(١) الجانب الإلهي : صـ ١٧٠.

(٢) الجانب الإلهي صـ ١٧٠– ١٧١.

(٣) مقدمة رسائل الكندي.

فالكندي كان من المقربين عند المعتصم وأنه كان مؤدب ابنه أحمد ولا شك أنه كتب هذا الكتاب أيام صلته بقصر الخلافة وحظوته فيه بدليل ما نجده في أوله من رفع شأن المعتصم والدعاء له وإشادة بآبائه وربما التمسك بهداهم من الخير (١).

يقول الكندي في مقدمة هذا الكتاب : " أطال الله بقاءك يا بن ذري السادات وعري السعادات الذين من استمسك بهديهم سعد في دار الدنيا ودار الأبد وزينك بجميع ملابس الفضيلة وطهرك من جميع طبع (دنس) الرذيلة " (٢).

ولعل عزوف الكندي عن المشاركة في الحياة العامة بعد رحيل المعتصم عن هذه الدنيا (آخر خليفة عباسي تمذهب بالاعتزال) فيه دلالة كافية على ما كان يلقاه من تكريم على يد هؤلاء الخلفاء ثم ما لقيه من اضطهاد على يد الخلفاء الجدد (٣).

كما أن إقدام الخلفاء على تأييد العلوم العقلية كان له أثره أيضاً على الرعية خاصة الأثرياء منهم " فإقدام الخليفة المأمون على ترجمة كتب الفلسفة وتشجيعه لها له أثره في نفوس الأثرياء من رعيته فاحتذي بعضهم حذوه في طلب كتب الفلسفة والإغداق على مترجميها " (٤).

وظل تشجيع الخلفاء للعلوم العقلية وحسن الظن برجالها وإكرامهم إلى حين آل الحكم إلى الخليفة (المتوكل) الذي اتخذ موقفاً معادياً ومغايراً لما كان عليه الحال من قبل حيث اضطهد أصحاب الاتجاه العقلي وأيد طريقة أهل السنة – كما تقدم –.

---

(١) نفسه حـ١، صـ٥.

(٢) رسائل الكندي الفلسفية حـ١، صـ ٢٥.

(٣) انظر : د/ جعفر آل ياسين : فيلسوفان رائدان صـ٢٢.

(٤) الجانب الإلهي صـ١٧٢ بتصرف.

ثالثاً : لكن هذه المضايقات من جانب الخلفاء أو من جانب أهل السنة وغيرهم لم تفلح لحسن الحظ في أن تجعل العناية المستمرة بهذه العلوم العقلية تضييع سدى :

- **فرغم ما ذاقه رجال (الكلام والفلسفة والمنطق) من اضطهاد على يد بعض الحكام وغيرهم بحجة أو بأخرى : " فقد أصبح مريدوا هذه العلوم تبعاً لهذا الاضطهاد يتجنبون الظهور بها وإن لم يمنعهم ذلك من الاشتغال بها سراً عن طريق تأليف الجمعيات والمجالس في الخفاء لتحقيق هذه الغاية و(إخوان الصفا) من أشهر هذه الجمعيات " (١).**
- **بالإضافة إلى أن كتب التاريخ تسجل العديد من الأمثلة في حب بعض الأمراء والخلفاء للفلسفة وفروعها وتشجيعهم للمشتغلين بها سراُ أحياناً وجهراً أحياناً أخري :**

فبعض الأمراء الذين ولوا الحكم بالأندلس كانوا يضمرون حب الفلسفة ويشجعون التفلسف سراً أحياناً وأحياناً كان هؤلاء العلماء يلقون لديهم قدراً كبيراً من الحماية والتشجيع جهراً. فقد كان مالك بن وهيب الإشبيلي من الفلاسفة الظاهرين ومع هذا فقد استدعاه يوسف بن تاشفين في حضرته وجعله عالمه وجليسه (٢).

وكذلك يذكر لنا القاضي مروان الباجي أن (المنصور أبا يوسف يعقوب) من الخلفاء الموحدين لما قصد إعدام كتب المنطق والحكمة عهد بالأمر إلى الحفيد أبي بكر بن زهر وأراد بذلك " أنه إن كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر ولا يقال عنه إنه يشتغل بها ولا يناله مكروه بسببها " (٣).

---

(١) نفسه صـ١٧٣ بتصرف.

(٢) المقري : نفح الطيب حـ٢، صـ ٢٩٤و٣٢٣و٣٢٤.

(٣) انظر : طبقات الأطباء حـ٢، صـ٦٩.

وشاء الحسد أن يحمل بعض أعداء ابن زهر على السعاية به إلى المنصور بأنه يعني بهذه العلوم وعنده الكثير من كتبها. وعمل محضر بذلك شهد عليه كثيرون.

ولكن النتيجة لم تكن فحص هذا الاتهام بل كانت عقاب الشاكي والحكم بسجنه.

ثم قال المنصور : " إنني لم أول ابن زهر في هذا حتى لا ينسبه أحد إلى شيء منه ولا يقال عنه..."(١).

بل إن الخليفة (أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن) كان شديد الميل للفلسفة فأمر بجمع كتبها فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي وأنه لم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب(٢).

ثم كان منه أن اصطفي الفيلسوف (ابن طفيل) الذي لم يزل يجمع إليه العلماء من جميع الأقطار وينبه عليهم ويحضه على إكرامهم.

وفي حب (أبي يعقوب) هذا للفلسفة ورجالها ما كان من تشجيعه (لابن رشد) وطلبه منه أن يشرح كتب أرسطو.

ولما توفي الخليفة (يوسف بن عبد المؤمن) وولي الحكم بعده ابنه (يعقوب) الملقب بالمنصور (سنة ٥٨٠هـ) نال ابن رشد لديه الحظوة والمنزلة التي كانت له لدى أبيه. إلا أن القدر كان له بالمرصاد فابتدأ سوء الظن به وبعقيدته وكان هذا مقدمة لنكبته والحكم بنفيه (٣).

---

(١) نفسه حـ٢، صـ٦٩، وانظر : د/ محمد يوسف موسى : بين الدين والفلسفة صـ٢٤.

(٢) المراكشي صـ ١٧١– ١٧٢.

(٣) انظر : د/ محمد يوسف موسي : بين الدين والفلسفة صـ٢٤و١٦.

هذا وكل تلك الأمور التي عرضناها تدل بوضوح على تأصل الفلسفة في تلك البلاد على كره من أهلها للفلسفة وما إليها بسبيل.

فرغم اضطهاد الفلسفة ورجالها وطلابها لم تمت الفلسفة اضطهاد أهلها وإبادة أكثر مؤلفاتها وظل هناك جماعة تحمل شعلة التفلسف وتعني بالدراسات العقلية النظرية ويكتب الأوائل.

* * * * * * *

الخاتمة

وبعد : فهذه إطلالة متواضعة أحببت أن أساهم فيها بجهدي المتواضع في هذا البحث الذي جاء عنوانه : [**معارضة أهل السنة للعلوم العقلية (الكلامية والفلسفية) الأسباب والدوافع**]

تعرفنا من خلاله على أهم الأسباب التي دفعت أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث وغيرهم إلى اتخاذ موقف خصومة وعداء ومناهضة تجاه العلوم العقلية سواء كانت كلامية أم فلسفية ومنطقية.

١. فموقف أهل السنة المعارض للدراسات الفلسفية يقوم على التعصب الديني إذ كيف يتلقون الآراء الفلسفية الإغريقية وهي صادرة عن الفلاسفة القدماء وهم وثنيون ملحدون.
٢. كما أن موقفهم المعارض لـ(علم الكلام) وهو أحد العلوم العقلية وذمه وتحريم النظر فيه لاشتماله على بعض الآراء والمصطلحات الفلسفية القديمة الوافدة من الملاحدة.

ولكون هذه العلوم العقلية (الكلامية والفلسفية والمنطقية) من قبيل البدع المنهي عنها حيث لم يرد الأمر بها في كتاب الله وسنة رسوله – صلي الله عليه وسلم – ولا يوجد عند الصحابة والتابعين وسلف الأمة البحث فيها فهي علوم محدثة وكل محدثة بدعة.

لذا فبين هذه العلوم تلازم في علة التحريم –كما تقدم –.

٣. أن وقوف بعض الولاة والأمراء والخلفاء في وجه العلوم العقلية (كلامية أم فلسفية ومنطقية) ورجالها كان سببا في تشجيع أهل السنة واتخاذهم مواقف في غاية التشدد ضد تلك العلوم فقد حملوا على الدراسات الكلامية والفلسفية في عنف ظاهر وغضب بين وتشدد كريه.

وسواء كان الدافع وراء معارضة الخلفاء للعلوم العقلية واضطهاد رجالها

- مرده في كثير من الحالات الرغبة في استمالة العامة من جهة والفقهاء وأهل الحديث من جهة أخري – فإن على هاتين الطائفتين تقوم الدولة ويستمر السلطان للقائمين به –.
- أو كان مرده أن الخلفاء يرون أن أهل السنة على حق في معارضتهم للعلوم العقلية ومن ثم وقفوا في وجه تلك العلوم ورجالها.

سواء كان هذا أو ذاك فإن أهل السنة قد زادت شوكتهم ضد أصحاب النزعة العقلية في الإسلام بفضل وقوف الخلفاء معهم وتأييدهم ومناصرتهم.

فقد انتهز أهل السنة هذه الفرصة وشنوا حرباً لا هوادة فيها على المشتغلين بالعلوم العقلية سواء كانت كلامية أو فلسفية ومنطقية.

بالإضافة إلى أن هذا الموقف المتشدد من جانب أهل السنة ضد العلوم العقلية ورجالها كان منشؤه التعصب الديني –كما تقدم – .

٤. كما أن الموقف المتشدد من العلوم العقلية سواء كان بسبب تشجيع بعض الخلفاء المعارض لتلك العلوم أو بدافع التعصب الديني فإن هذا الموقف لم يقتصر على المشرق الإسلامي فقط بل امتد إلى المغرب الإسلامي أيضاً كما رأينا.

٥. كما أن تأييد بعض الخلفاء لأهل السنة لسبب أو لآخر ضد المتكلمين والفلاسفة لم يكن هو طابع كل الخلفاء فبعضهم ينسب إليه الفضل في ترجمة العلوم العقلية وتأييدها وتشجيع المشتغلين بها وإكرامهم كما فعل المنصور والمأمون والمعتصم وغيرهم.

ولا شك أن اعتناق خليفة من الخلفاء مذهباً من المذاهب يحمله على مناصرة هذا المذهب وتقريب رجاله منه كما فعل المأمون والمعتصم مع رجال الاعتزال والفلسفة.

بل إن إقدام الخليفة (المأمون) على ترجمة كتب الفلسفة وتأييدها كان له أثره في نفوس رعيته خاصة الأثرياء منهم –كما تقدم –.

إذن فوقوف الحكام تجاه مذهباً من المذاهب سلباً أو إيجاباً كان له أثره في ازدهار هذا العلم أو ذاك ورفع مكانة رجاله.

وقد رأينا أن الحكام كانوا يقربون فرقة من الفرق أو مذهباً من المذاهب على حساب الأخرى ويدعمون واحدة ضد الثانية فعل ذلك الأمويون والعباسيون ومن أتي بعدهم.

٦. المهم أن موقف أهل السنة (الفقهاء وأهل الحديث ومن تبعهم) المتشدد من العلوم العقلية (الكلامية والفلسفية) وتحريمها سواء كان بدافع التعصب الديني أو بسبب تأييد بعض الخلفاء لهم لسبب أو لآخر قد جعل موقف أهل السنة من تلك العلوم أكثر تشدداً وعنفاً.

فهذا الموقف أو ذاك كان سبباً في الحكم على المشتغلين بتلك العلوم بالفسق والكفر والإلحاد والإمام الغزالي – وغيره – نموذج واقعي لما نقول فقد اتهم الفلسفة ومنتحليها بالكفر في بعض المسائل ورميهم بالابتداع في الدين في البعض الآخر –كما تقدم –.

بالإضافة إلى أنه لا يكاد يسلم المشتغل بتلك العلوم من الأذى والاضطهاد وإثارة العامة ضدهم وبعضهم كانت حياته عرضة للخطر كما أن من بين الذين عنوا بها قتلوا في سبيلها بسبب تحريض كبار رجال السنة ضدهم كما فعل ابن الصلاح – وغيره – في فتواه.

وقد ذكرنا العديد من الأمثلة في الأذى والاضطهاد الذي أصاب المشتغلين بالدراسات الكلامية والفلسفية ورميهم بالكفر والزندقة من جانب أهل السنة ومن تبعهم الذين نظروا إلى العلوم العقلية على أنها سبب كل انحراف وفساد وتؤدي إلى التعطيل وتثير الشبه وتجر إلى البدع ومن ثم فالاشتغال بها مرض في الدين أو هلاك قل من نجا منه.

٧. لكن رغم أن أهل السنة قد حملوا على العلوم العقلية في عنف ظاهر وغضب بين وتشدد كريه يرفضه كل منصف لم تمت تلك العلوم باضطهاد أهلها وإبادة أكثر مؤلفاتها وظل هناك جماعة تحمل شعلة التفلسف وتعني بالدراسات العقلية النظرية ويكتب الأوائل.

فقد رأينا أن مريدوا هذه العلوم – تبعاً لهذا الاضطهاد – كانوا يتجنبون الظهور بها وإن لم يمنعهم ذلك من الاشتغال بها سراً عن طريق تأليف الجمعيات والمجالس في الخفاء لتحقيق غايتهم.

كما رأينا من الأمثلة في حب بعض الأمراء والخلفاء للفلسفة وفروعها وتشجيعهم لرجالها وطلابها سراً أحياناً وجهراً أحياناً أخري.

وكما يقول (رينان) بحق : كل الجهود التي بذلت لهدم الفلسفة لم يكن منها إلا أنها أذكتها فهذا سعيد الطليطلي يؤكد أن دراسات العلوم القديمة في زمنه (١٠٦٨م) كانت أكثر ازدهاراً من أي زمن مضي [١].

وفي بحث قادم بمشيئة الله تعالي سوف نتناول الاتجاه الكلامي لدي أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم حيث كانت لهم آراء كلامية وعقائدية وتحدثوا بخير عن أهمية علم الكلام ودوره في التصدي للآراء والأفكار المعادية للإسلام بالحجة والبرهان بل وعن الأسباب والدوافع وراء قيام

(١) ابن رشد ومذهبه صـ٦.

المباحث الكلامية وتصنيف كتب العقائد رغم أن (علم الكلام) من العلوم العقلية التي طالما هاجموها في عنف شديد واتهموا المشتغلين بها بالكفر والإلحاد – كما تقدم –.

كما سنتناول في دراستنا القادمة أن من بين أئمة رجال الدين وعلماؤه من يؤكد على أهمية استخدام (المنطق) وهو أحد فروع الفلسفة في خدمة النظريات الدينية بل إن بعض المعارضين للفلسفة وتكفير المشتغلين بها قد أشاد بأحد فروعها وهو (المنطق) وأكد على أهميته وفائدته للبحوث الدينية.

كل هذا وغيره سوف نتناوله في دراسة قادمة بمشيئة الله تعالي.

[رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ] (١).

صدق الله العظيم

* * * * * * *

(١) سورة البقرة : ٢٨٦.

الفهرس

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٢٣٧
؟لمبحث ؟لأ؟ ؟ : موقف ؟هل ؟لسنة من علو ؟؟لأ؟؟ئل	٢٣٨
الدوافع وراء اتخاذ أهل السنة موقف خصومه وعداء ومناهضة للعلوم العقلية خاصة الفلسفة والمنطق.	٢٣٩
وصف أهل السنة لـ (علوم الأوائل) بأنها علوم مهجورة تؤدي إلى الكفر.	٢٣٩
حرص أهل السنة على تعقب المشتغلين بالعلوم اليونانية.	٢٤٢
كل انحراف عن طريق رجال الدين الرئيسي كان القوم يعزون السبب فيه إلى علوم الأوائل.	٢٤٣
مطالبة أهل السنة الشباب الراغبين في العلم أن يتجنبوا الاتصال بالمشتغلين بعلوم الأوائل.	٢٤٤
الاشتغال بالدراسات الفلسفية تحت ستار علم من العلوم الحسنة السمعة.	٢٤٤
كراهية أهل السنة للكتب التي تتضمن علوم الأوائل.	٢٤٥

المبالغة في التخوف من كل العلوم المتصلة بعلوم الأوائل.	٢٤٦
الموضـــــــــــوع	**الصفحة**
الجدير وحده بالتحصيل من العلوم هو العلوم الدينية أو الشرعية لا العلوم العقلية.	٢٤٧
?لمبحث ?لثا ? : تلا?? علة ?لتحريم من جانب ?هل ?لسنة بين ?لعلو??لعقلية (?لكلامية ??لفلسفية ??لمنطقية)	٢٥٠
أقوال الفقهاء ورجال الحديث في ذم العلوم العقلية.	٢٥٠
التلازم في علة التحريم بين الدراسات الكلامية والفلسفية.	٢٥٤
كون هذه العلوم العقلية لم يرد الأمر بها في كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم.	٢٥٥
كون هذه العلوم لا يوجد عند الصحابة والتابعين وسلف الأمة البحث فيها.	٢٥٨
كون هذه العلوم تشتمل على الكثير من المصطلحات الوافدة.	٢٥٩
تأثير فتوى ابن الصلاح – التي تقضي بتحريم (الفلسفة والمنطق) – في وسط أهل السنة.	٢٦٠
نستخلص مما سبق	٢٦٢
الكتب المؤلفة في ذم علم الكلام والفلسفة والمنطق.	٢٦٦

؟لمبحث ؟لثالث : تأييد بعض ؟لخلفا؟ لأهل ؟لسنة ؟ معا؟ضتهم للعلو؟؟لعقلية ؟؟ثر ؟لك على تلك ؟لعلو؟	٢٦٧
موقف الخليفة المتوكل من العلوم العقلية ومناصرته لأهل السنة.	٢٦٧
الموضـــــــــــوع	**الصفحة**
ازدياد شوكة أهل السنة بسبب تأييد الخلفاء لهم.	٢٧١
وقوف بعض الخلفاء بجانب أصحاب النزعة العقلية وتأييدها.	٢٧١
بعض الخلفاء ينسب إليه الفضل في ترجمة العلوم العقلية وتأييدها.	٢٧٢
أثر ترجمة كتب المنطق والفلسفة وتأييدها من جانب بعض الخلفاء في نفوس أصحاب النزعة العقلية في الإسلام خاصة (الفلاسفة).	٢٧٤
المضايقات من جانب الخلفاء ومعهم أهل السنة لم تفلح في أن تجعل العناية المستمرة بالعلوم العقلية تضيع سدى.	٢٧٥
حب بعض الأمراء والخلفاء للفلسفة وفروعها وتشجيعهم للمشتغلين بها سراً أحياناً وجهراً أحياناً أخري.	٢٧٦
الفهرس	٢٨٣